

## ابراهيم الطبراني

(من نشرة رعييتي لابرشية حلب)

إبراهيم الطبراني راهب فلسطيني توفي حوالي العام ٨٢٠ للميلاد. هو يعرف عن نفسه قائلاً: "أنا عبد الله من آل آدم من أهل قحطان، من طبرية الشام، ومأوي الأكوخ (بلدة بالقرب من مدينة بانياس إلى الشمال من بحيرة طبرية)، معدن العلم والأخبار". اشتهر عنه أنه جادل الأمير عبد الرحمن ابن عبد الملك ابن صالح الهاشمي "صاحب" (والي) دمشق وفلسطين، في أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد. وقد جرت هذه المجادلة في حضور شخصيات يهودية ومسيحية وإسلامية. ويظهر واضحاً من أقوال الطبراني أنه كان على المذهب أرثوذكسياً على المذهب الخلقيدوني.

تناول المجادلة مسائل عديدة وأجوبة على أسئلة متنوعة، منها: مسألة الدين الحق، ألوهة المسيح وبشريته، هل المسيح مخلوق أم غير مخلوق؟، في صحة الإنجيل، التجسد والثالوث الأقدس، الصليب، تفوق المسيح على أي نبي أو رسول آخر، الوعد بالجيء الثاني والقيامة العامة. وتنتهي المجادلة بعودة غلمان "الأمير الذين كانوا نصارى وأسلموا" إلى الإيمان المسيحي معترفين "بالمسيح أنه ابن الله الحي الأزلي". فأمر الأمير بضرب أعناقهم "لارتدادهم" بحسب رأيه، وأمر بزج الراهب في السجن.

لا يخاف إبراهيم الطبراني حين سأله الأمير: "فأي الأديان أ خير وأفضل، وآية الأمم على الله أكرم؟" من الإجابة بأن دين الحق والدين الفاضل عند الله هو "دين المسيح وأمة النصارى". ذلك أن الله جعل المسيحية الدين "الذي اختاره لعزته، وأفرح به ملائكته، ورضيه لعباده، وخص به أوليائه وأهل طاعته، وبشّرت به أنبيأؤه، (...) وقاد إليه الشعوب والأمم بلا سيف ولا قهر ولا مواراة باطل، وطهر فرائضه من الدنس، وزينه بالمحاسن كلها، وجعله علماً وأماناً وهدى ونوراً للعباد في كل البلاد". ويتابع واصفاً المسيحيين بأنهم أهل "الأمة الفاضلة الذين يدمنون الصيام، وقيمون الصلاة، ويكثرون الصدقات، ويتلون آيات الحق بالليل والنهار، الباذلون أنفسهم وأمواهم، مع احتمال الضيم الشديد وسفك دمائهم في أنواع العذاب المختلف، حفظاً لسيدهم وحباً له".

## مَجَالِسُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبْرَانِيِّ

مُجَادَلَةٌ لَاهُوتِيَّةٌ جُرَتْ  
مَعَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيِّ  
فِي نَيْتِ الْمَقْدِسِ نَحْوَ سَنَةِ ٨٢٠ م.

نُصِّحَ مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ النَّسَبِيِّ  
حَقَّقَهُ وَزَيَّنَهُ وَرَوَّعَهُ

الْأَبُ جَاهِشِبَنْدَرُ بُولَسُ مَارَقُوسِي  
بِزِينَةِ مَدِينَةِ نَجْدَةَ - الْمَدِينَةِ

أَمَّا عَنِ الدَّافِعِ إِلَى تَأْتِسِ ابْنِ اللَّهِ وَاتِّخَاذِهِ جَسَدًا مِنَ الْبَتُولِ وَالِدَةِ الْإِلَهِ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الطَّبْرَانِيُّ: "فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ (جَلَّ اسْمُهُ) قُلُوبَ النَّاسِ قَدْ فَسَدَتْ، وَضَمِيرَهُمْ يَزِيدُ شَرًّا وَتَمَادِيًا فِي خِلَافِ الْحَقِّ، فَطَالَ زَوْغَانُهُمْ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، ظَهَرَ الْإِلَهِ الْأَزَلِيُّ بَلْبَاسَ مِنَ الْبَشَرِ. فَسَاقَ الْعِبَادَ بِحُكْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنْ عِبَادَةِ إِبْلِيسَ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ". وَيَصْحَحُ الطَّبْرَانِيُّ مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَنَّ النَّصَارَى لَا يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ إِلَّا لِأَنَّهُ أَحْيَا الْمَوْتَى، فَيَقُولُ: "لَسْنَا نَتَّخِذُ الْمَسِيحَ لِهَذَا لِأَنَّهُ أَحْيَا الْمَوْتَى فَقَط. لَكِنْ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ الْآيَاتِ بِأَمْرٍ مِنْهُ نَافِدٌ، لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى طَلْبٍ وَلَا إِلَى تَضَرُّعٍ، كَمَا تَلْهُوَ الْأَنْبِيَاءُ. وَكَانَ يُظْهِرُ تِلْكَ الْآيَاتِ إِذَا أَحَبَّ وَأَرَادَ: إِمَّا مَيِّتَ فِيحْيِيهِ، وَأَعْمَى فَيَفْتَحُ عَيْنِيهِ، أَوْ مَرِيضٌ فَيَشْفِيهِ، وَأَلُوفًا مِنَ النَّاسِ جِيَاعًا أَشْبَعُ مِنَ الْخُبْزِ الْيَسِيرِ. كُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةٍ فِيهِ حَاضِرَةٌ". ثُمَّ يُوَكِّدُ الرَّاهِبُ الْإِيمَانَ بِالثَّلَاثِ الْأَقْدَسِ قَائِلًا إِنَّ "اللَّهَ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ، وَلَدَ الْإِبْنَ الَّذِي لَا ابْتِدَاءَ لَهُ، وَأَظْهَرَ الرُّوحَ بِلَا فَضْلٍ وَلَا حَدٍّ، أَزَلِيٌّ مِنْ أَزَلِيٍّ، خَالِقٌ مِنْ غَيْرِ مَخْلُوقٍ، مُتَجَسِّمٌ مِنْ غَيْرِ ذِي جَسْمٍ". وَفِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ نَصِّ الْمُجَادَلَةِ يَعلَنُ الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ الْمَسِيحَ "أَمَّا بِجَوْهَرِ أَبِيهِ فَهُوَ الْخَالِقُ، وَأَمَّا بِجَوْهَرِ أُمِّهِ فَهُوَ مَوْلُودٌ مِنْ مَخْلُوقَةٍ".

وَلَا يَهَادِنُ إِبْرَاهِيمُ الطَّبْرَانِيُّ مَحَاوِرَهُ الْأَمِيرِ الَّذِي اسْتَفْزَهُ قَائِلًا لَهُ إِنَّ مُحَمَّدًا أَعَزُّ وَأَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمَسِيحِ وَمِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ كُلِّهَا. فَيُجِيبُهُ الطَّبْرَانِيُّ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الْأَمَانَ وَالْعَهْدَ مِنَ الْأَمِيرِ قَائِلًا: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَسِيحَ فِي السَّمَاءِ الْعَلِيِّ، وَمُحَمَّدًا وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ الثَّرَى، وَأَنَّ السَّمَاءَ كُرْسِيَّ اللَّهِ وَعَرْشُهُ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ الْعِزَّةِ عَنِ يَمِينِ الْآبِ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ وَالْعِبَادِ. فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هُوَ فِي السَّمَاءِ عَلَى كُرْسِيِّ الْعِزَّةِ؟". وَرَدًّا عَلَى سَوْأَلٍ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، يَشْهَدُ الرَّاهِبُ بِصِرَاحَةٍ كَلِيَّةٍ قَائِلًا: "لَا أَقْرَّ أَنَّ نَبِيَّكَ نَبِيٌّ. مَا هُوَ إِلَّا مَلِكٌ ارْتَضَاهُ اللَّهُ، وَتَمَّ بِهِ وَعَدَّ إِبْرَاهِيمُ فِي إِسْمَاعِيلَ. لِأَنَّهُ مِنْ يُوْحَنَّا ابْنِ زَكَرِيَّا ارْتَفَعَتِ النَّبُوَّةُ وَالْوَحْيُ".

ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْمُتَجَادِلَانِ الْمَسْأَلَةَ الْأَهْمَى فِي الْخِلَافِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَسِيحِيِّ، الصَّلِيبِ وَإِكْرَامِهِ عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ. فَيَحَدِّدُ الطَّبْرَانِيُّ التَّعْلِيمَ الْمَسِيحِيَّ فِي مَا يَخْصُّ هَذَا الْمَوْضُوعَ قَائِلًا: "لَا، لِعَمْرِي، مَا نَعْبُدُ الصَّلِيبَ. لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَلُومَ النَّصَارَى عَلَى حُبِّهِمْ لِلصَّلِيبِ، لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْهُ أُمُورٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى. وَذَلِكَ أَنَّهُ رَايَةَ النَّصْرَ وَالْخِلَاصَ مِنَ الضَّلَالَةِ".

يُوَكِّدُ إِبْرَاهِيمُ الطَّبْرَانِيُّ عَلَى الْإِيمَانِ التَّوْحِيدِيِّ لِلْمَسِيحِيِّينَ، مَبْعَدًا تَهْمَةَ الشَّرْكِ عَنْهُمْ، فَيَقُولُ: "مَا نَحْنُ مُشْرِكُونَ، وَلَكِنَّا مُشْتَرِكُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، بِهَذَا الْبَشَرِيِّ الْمَصْطَفِيِّ مِنْ جَوْهَرِنَا، الَّذِي بِهِ عَرَفْنَا اللَّهَ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ". وَيُضِيفُ فِي مَسْأَلَةِ الْقِيَامَةِ قَائِلًا:

"نحن من أمر القيامة والبعث على الحق واليقين، لأن المسيح جاء وقال: يا معشر الناس، إن القيامة بنا تقوم، وإن الله يبعث من القبور. فمات وقبر، وقام وانبعث حيًا، وطلع إلى السماء وأتى ثانية". ويعتبر الطبراني إن هذا اليقين غير موجود في اليهودية ولا في الإسلام، لأن النبي موسى والنبي محمد ماتا ولم ينبعثا.

إبراهيم الطبراني الراهب شاهد حقيقي ليسوع المسيح المخلص والفادي. والشهود أمثاله كثيرون في عالمنا العربي، منذ نشوء الإسلام إلى اليوم، وإلا لكانت المسيحية انقرضت من مشرقنا العزيز. بفضل هؤلاء ما زال المسيح ينبض حيًا في ديارنا وكنائسنا ومنازلنا.

latinseminary.org